



المركز العالمي للوسطية

برعاية صاحب السمو أمير البلاد

الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

المؤتمر العالمي

منهجية الإفتاء في عالم مفتوح

الواقع الماثل.. والأمل المرتجي

فتاوى الفضائيات .. سلبيات وإيجابيات ضوابط ومقترحات

أ. جاسم محمد المطوع

9-11 جمادى الأولى 1428هـ - شيراتون الكويت - 26-28 مايو 2007م

للاستفسار: 2663180 - 2663150

الموقع الالكتروني: www.wasatiaonline.net

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إمام المفتين وبعد

مقدمة

تعريف الفتوى :

المعنى اللغوي : الفتوى تعني: الإبانة ، يُقال: أفتاه في الأمر أي: أبانه له .

والفُتيا والفتوى : ما أفتى به الفقيه .

ومعنى الإفتاء شرعاً : بيان حكم اللّه تعالى بمقتضى الأدلة الشرعية على جهة العموم والشمول .

صفة المفتي:

المفتي ـ كما يقول الشاطبي ـ قائم في الأمة مقام النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء ، ولأن المفتي نائب في تبليغ الأحكام الشرعية. (الموافقات للشاطبي٤/٢٤٤)

خطورة الفتوى والإفتاء:

يقول اللّه تعالى في سورة الأعراف:(**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٣٣}**)

فالقول على الله بغير علم هو من الأمور المحرّمة ....

ويقول تعالى في سورة النحل:(**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ {١١٦}**)

فجعل الله التحريم والتحليل من غير بينة ولا دليل ولا تثبّت نوعاً من الافتراء والكذب عليه. والعياذ بالله. .

وفي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: " ومن أفتى بغير علم كان إثمه على مَنْ أفتاه ". (سنن أبى داود)

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى(من فقهاء التابعين) قال: "أدركتُ عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها

هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول ، ما منهم مَنْ يحدث بحديثٍ إلا وَدَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا".

يقول الإمام النووي في مقدمة كتابه (المجموع شرح المهذب) : " اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل ، لأن المفتى وارث الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم " .

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين(١/ ٢٧): " كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى ، ويودُّ كلُّ واحد منهم أن يكفيه إياها غيره" ..

ومن هذا يظهر خطر الفتوى بدون علم ، لأن الفتوى تعتبر شريعة عامة تشيع بين الناس .

حكم الإفتاء:

نصوص الفقهاء تتفق على أن تعليم الطالبين وإفتاء المستفتين فرض كفاية .

(المجموع للنووي ١ /٢٧،البحر الرائق لابن نجيم ٦/ ٢٩٠ ، الفروق للقرافى٤/٨٩ ، ومنتهى الإرادات للبهوتى ٤ /٢٥٧).

أول مَنْ قام بالإفتاء:

هو رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فقد كان يفتى بوحي من اللّه سبحانه، كما تشير إليه آيات القرآن الكريم، أو يخبر بها صلى اللّه عليه وسلم بجوامع كلمه فهي من السنة الشريفة .

ثم من بعده كان كبار الصحابة ، كالخلفاء الأربعة وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيرهم ، وقد أورد ابن حزم أسماء عدد كثير من الصحابة والتابعين الذين تصدوا للإفتاء ، منسوبين إلى البلاد التي أفتوا فيها. (الأحكام في أصول الأحكام ٥/ ٨٩)

شروط المفتي:

١. أهلية الأداء(التكليف):

بأن يكون : مسلماً ، بالغاً ، عاقلاً .

٢. أهلية الإفتاء :

حيث اشترط بعض الفقهاء أن يكون مجتهداً ، وبعضهم اعتبر أن الأهلية تتحقق بمن عرف أقاويل العلماء وعرف مِنْ أين قالوا ؟ وبمَ استدلّوا ؟ فلا يختار قولاً يجيب به حتى يعرف حجته .

وقال مالك: لا ينبغي للعالم أن يفتى حتى يراه الناس أهلاً للفتوى ، ويرى هو نفسه أهلاً لذلك. أي: يريد ظهور أهليته عند العلماء وثبوتها.

٣. العدالة :

فالفاسق لا يصلح مفتياً ؛ لأن الفتوى من أمور الدين ، والفاسق لا يقبل قوله في الديانات .

وهو ما عبّر به بعضهم: أن يكون محافظاً على الطاعات مجانباً للشهوات والشبهات ، متشابهَ السرِّ والعلانية ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به .

وهذه الشروط تسمح للمرء بالفتوى إن تحققت فيه ، سواء كان رجلاً أو امرأة ، شيخاً أو شاباً ، كما نصَّ عليه أهل الشأن والأصول .

من آداب المفتي

ذكر أهل الاختصاص والأصول كثيراً من الآداب والضوابط لأهل الفتوى ، وقد اخترتُ منها أموراً في نظري من المُهمات:

١ـ معرفة الناس : أي أنه يجب عليه أن يعرف نفسية المستفتي ، وأن يكون ذا بصيرة نافذة يدرك بها أثر فتواه وانتشارها بين الناس .

٢ـ الوسط المعهود : فالمفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة ، ولا يميل بهم إلى طرق الانحلال.

٣. اتباع الهوى والإفتاء بالعاطفة : والذي يحذره المفتي أن يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي، لأن اتباع الهوى ليس من المشقات التي يترخص بسببها .

٤ـ معرفة العادات والأعراف ودلالات اللهجة في بلد المستفتي: فذكروا أنه لا يجوز أن يفتي في الأيمان والإقرار ونحوهما مما يتعلق بالألفاظ إلا أن يكون من أهلِ بلدِ اللافظ ، أو متنَزِّلاً منـزلتهم في الخبرة بمرادهم من ألفاظهم وعُرْفِهم فيها .

٥. يحرم التساهل في الفتوى ، ومَنْ عُرف به حرم استفتاؤه ، فمن التساهل: أن لا يتثبت ، ويُسرِع بالفتوى قبل استيفاء حقِّها من النظر والفكر ، أو يتتبّع الحيل المحرَّمة أو المكروهة.

٦. لا يتسرّع في التكفير والتفسيق:

قال الصيمري والخطيب(من فقهاء الشافعية): إذا سئل عمَّنْ قال: (أنا أصدق من محمد بن عبد الله)، أو (الصلاةُ لعبٌ)، وشِبْهِ ذلك، فلا يبادر بقوله: هذا حلال الدم أو: عليه القتل!، بل يقول: إن صح هذا بإقراره، أو بالبينة، استتابه السلطان، فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يتب فعل به كذا وكذا.

قالوا: وإن سئل عمَّن تكلم بشيء، يحتمل وجوهاً يَكْفُرُ ببعضها دون بعض قال: يسأل هذا القائل. فإن قال: أردت كذا، فالجواب كذا.

٧ـ ذو معرفة وصاحب ممارسة في الإجابة على الفتيا: فهو يعرف واقع الناس ومشاكلهم وتفاصيل المسائل لكثرة احتكاكه بهم وطول عمره بينهم ، وهو ما يمكن تسميته بـ(الخبرة) .

قال أهل الأصول: فلا يجوز للمستفتي استفتاء مَنْ انتسب إلى العلم، وانتصب للتدريس والإقراء وغير ذلك من مناصب العلماء، بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك.(دون خبرة وأهلية).

المحور الأول: فوضى الفتاوى في الفضائيات

الانتشار !

انتشرت الفتاوى الدينية علي شاشات التليفزيون المحلية والفضائية ، وحتي على صفحات الجرائد ، بل وعبر المواقع الإلكترونية والبريد الشخصي وعبر الـ(SMS) ، بصورة غير صحية .

والمعلوم أن الفضائيات ووسائل الإعلام تبحث عن الإعلان ، وبالتالي تحاول جذب المشاهد ، والدين بطبيعة الحال مسألة مهمة في حياة الإنسان ، وخاصة الإنسان المسلم ؛ ولذلك أفردوا مساحات واسعة لتلك البرامج .

وبالفعل هناك فوضى حقيقية في مجال الفتوى ، تثير نوعاً من البلبلة والجدل بين الناس ، مما ينذر أحياناً بكارثة دينية اجتماعية .

الفتاوى الفضائية خطيرة !

رغم أهمية الفضائيات - بإمكانياتها التقنية الهائلة، وقدرتها على التواصل، ونقل الأحداث، وتقديم موادها بطرق ثورية إذا صح التعبير، فإنني أرى برامج الفتاوى خطيرة ، والسبب هو:

سرعة الانتشار لتلك الفتاوى ، وكثرة المشاهدين ، وتنوّع المشاهدين من كبار وصغار مثقفين وأميين من شرق الأقاليم وغربها ، ثم ورود الأسئلة أحياناً مباشرة والإجابة عنها فوراً من دون تفكير أو تمهل .

إيجابيات وسلبيات فتاوى الفضائيات

أثارَ انتشارُ برامج الفتاوى المتعددة في مختلف الفضائيات فضولَ ومتابعةَ عموم المسلمين ، وكان التلقّي شديداً وكبيراً ؛ لدرجة أن كثيراً من البرامج الدينية أصبحت تحتل المراكز الأولى من حيث عدد المشاهدين أو المشاركين أو المتأثرين .

ومع هذا الانتشار الكبير المتعدد ، ومع هذه المتابعة والتأثّر القوي برزت ظواهر وآثار ونتائج يمكن القول : إنها إيجابية ، وبرزت بالمقابل ظواهر وآثار ونتائج يمكن الجزم بأنها سلبية ، بل وخطيرة أيضاً !

أ . إيجابيات فتاوى الفضائيات

١. بالنسبة للمتلقّي والمجتمع :

نشر الاهتمام بالدين ومعرفة الأحكام الشرعية : حيث تعاني أغلب المجتمعات المسلمة والعربية من أمّية علمية ومن أمّية شرعية ، كما أن القراءة والمطالعة في مجتمعاتنا العربية قليلة لدرجة أن من يقرؤون أو يُطالعون كتباً علمية (ومن ضمنها الكتب الشرعية) لا يتجاوز نسبة ١٣٪ من مجموع المجتمع في أفضل الأحوال !

وقد ساهمت هذه البرامج في السماح للمشاهد بإلقاء الأسئلة التي تجول في خاطره أو التي يبحث فيها عن إجابة دون خوف أو تردد ، مما زاد من اهتمام الناس بالدين وبالبحث عن الحكم الشرعي لأمور حياتهم .

٢. بالنسبة للفضائيات :

بسبب الإقبال على هذه البرامج ولاهتمام الناس بها فهذا أفاد الفضائيات في الانتشار والاستحواذ على اهتمام المشاهد ، وزاد من نسبة الإقبال على المشاهدة ، وهو بالتالي يقود لزيادة الإعلانات التي ترافق هذه البرامج وارتفاع أسعارها ، مما يعود بالفائدة على القناة الفضائية ماديّاً وإعلاميّاً وانتشاراً .

٣. بالنسبة للمفتي والعالِم :

سمحت هذه البرامج للعالِم أو المفتي الذي يردُّ على أسئلة المشاهدين والمُستفتين بالاستماع لمشاكل الناس وما يقع معهم من قصص وأحداثٍ واقعية ، مما ساهم ببروز بعض الفتاوى الجيدة ، والتي تراعي مقاصد الشريعة وحاجات الناس ، فكانت إجاباتٍ أقربَ للواقع منها للخيال والمثالية .

كما لا يمكن إنكار أنَّ عدداً لا بأس به من العلماء الذين يجيبون على أسئلة الناس هم من أهل الاختصاص والمعرفة ، مما أدّى لتواصلهم مع الناس وإظهار اجتهاداتهم وأفكارهم ، بحيث لا تبقى حكراً على المصنفات والمؤلفات وطلاب العلم فقط ، وهذا برأيي أمر جيد نفع الناس والعباد .

ب. سلبيات فتاوى الفضائيات

١. ظهور غيرِ المتخصصين في برامج الفتاوى :

هناك عدد غيرُ قليلٍ من برامج الفتاوى يظهر فيها أُناسٌ لم يسبق لهم ممارسة الفتوى بأصولها الشرعية ، أو ممن لهم حظٌّ من العلم لكن بضاعتهم في فن الإفتاء مُزجاةٌ وضعيفة .

وأهل الاختصاص يعرفون. وقد أشار لهذا الإمام النووي في مقدمة كتابه(المجموع) - أنه ليس كل عالمٍ يصلح لأن يكون أهلاً للفتوى .

ثم هناك مَنْ كان له بروز وظهور في مواضيع الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب ، أو كان له بروز في مواضيع أسرية ، أو برامج عن التاريخ الإسلامي ، وكلُّ هذا يختلف عن التخصص في الفتوى وبيان الأحكام من حلال وحرام وسنة ومكروه ومباح .

وهنا يتوجّه التساؤل والاستغراب أولاً لأصحاب القنوات ، ثم لمقدمي البرامج الذين يختارون الضيوف بهذا المستوى ، ثم لأولئك الذين يقحمون أنفسهم في الإفتاء وهم ليسوا أهلاً له!

يقول الإمام مالك - رحمه الله- : "ما أفتيتُ حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك". وفي رواية: "ما أفتيت حتى سألتُ مَنْ هو أعلم مني: هل يراني موضعاً لذلك"؟

٢. الإجابات دائماً حاضرة :

مَنْ يتابع برامج الفتاوى يتملَّكُه أحياناً الاستغراب والتعجب ، فهناك مَنْ يفتي في كل شيء ، وفي كلِّ ما يُسأل عنه ، وبشكل مباشرٍ ودون تروٍّ أو تفكير !

إنها الجرأة في الفتوى ، حيث هناك مواضيع لا زالت إلى اليوم مثارَ بحثٍ وتنقيبٍ وتداولٍ بين العلماء ، ولا زالت المجامع الفقهية تتباحث وتتناقش وتؤجل إصدار الأحكام إلى أن يتمّ الاتفاق وظهور الحكم الشرعي (مثل: زراعة ونقل الأعضاء ، والتداوي بالمحرمات ، واعتماد المراصد الفلكية من أجل ثبوت الهلال ، وبعض المسائل الاقتصادية ، والاستنساخ..........)

بينما نتذكر ورع السلف وحذرهم من الفتوى فيما لا يعلمون ، كما يُروى عن الإمام مالك أنه سئل في ٤٠ مسألة فقهية ، فأفتى في ٤ قضايا فقط وقال في ٣٦ قضية: لا أدري !

وسئل الإمام مالك مرةً عن مسألة فقال: (لا أدري)، فقيل: هي مسألة خفيفة سهلة، فغضب وقال: (ليس في العلم شيء خفيف)!

وقال العلماء قديماً: مَن قال لا أدري فقد أفتى !

وعن الشعبي(فقيه من طبقة تابعي التابعين) قال: "إن أحدَكم ليفتي في المسألة ولو وَرَدَتْ على عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر!

٣. عدم مراعاة الاختلاف بين السائلين :

مما يُميّز المفتي المؤهل أنه يراعي حال السائل وبيئته ومكانته وأعرافه الاجتماعية ، لكن مثل هذا الأمر نفقده ولا نجده في برامج الفتاوى الفضائية ، فمثلاً : هناك بيئات ينتشر فيها المذهب الشافعي (كمصر) ، وبيئات ينتشر فيها المذهب المالكي (كشمال إفريقيا) ، وبيئات ينتشر فيها المذهب الحنفي (كتركيا وأفغانستان) وبيئات ينتشر فيها المذهب الحنبلي (كالسعودية) ، ومعلوم أن هناك مسائل تختلف من مذهبٍ لآخر ، فمن الخطأ تعميم الإجابة للسائلين من مختلف بلاد العالم مع عدم مراعاة مذهب السائل أو المعتاد في بلده ؛ لأن إفتاءه بما يخالف المعتاد في بيئته قد يؤدي للمشقة بالسائل أو التنازع مع أهل بلده لظهوره بمظهر الشاذّ أمامهم !

ثم إن الفتوى للمتدين تختلف عن الفتوى لمن علاقته بالدين ضعيفة ، والفتوى للوَرِع تختلف عن الفتوى للمسلم العادي ، والفتوى للشاب قد تختلف أحياناً عن الفتوى للشيخ الكبير، والفتوى للمتزوج قد تختلف عن الفتوى للعازب ، والفتوى للمرأة قد تختلف عن الفتوى للرجل ، فلابد من فقه الواقع .

وهذه أمور يدركها مَن يمارس الإفتاء ويعرف أحوال الناس وبيئاتهم ، لكننا نفتقد هذه الأمور في أولئك المفتين في الفضائيات !

وهذا جانبٌ أدركه وعمل به المتقدّمون والقدوات في مجال الإفتاء :

. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها :" يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بِشِرْكٍ لهدمتُ الكعبة فألزقتُها بالأرض وجعلت لها بابين: باباً شرقياً وباباً غربياً وزدتُ فيها ستة أذرع من الحِجْر فإن قريشاً اقتصرتها حيث بَنَتِ الكعبةَ " . (صحيح مسلم)

. وقال عن المنافقين مع كل ما فعلوه من مؤامرات وتهجّم وعدائية : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" . (صحيح البخاري)

. وهذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يترك تغريب الزانى البكر مع وروده في الحديث حيث قضى عليه الصلاة والسلام بجلده مائة وتغريب سنة وذلك لما شاهد من كون التغريب قد يؤدي إلى مفسدة أكبر وهى اللحاق بأرض العدو وقال: لا أغرِّبُ مسلماً.

ـ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل عن توبةِ القاتل فقال: (لا توبة له)! وسأله آخر فقال: (له توبة) ثم قال: "أما الأول فرأيت في عينه إرادة القتل فمنعته، وأما الثاني فجاء مستكيناً قد ضلَّ فلم أقنطه ".

ـ وعمر بن عبد العزيز لمّا تولى الخلافة تدرّج في تطبيق بعض أحكام الشريعة فلمّا استعجله ابنه عبد الملك في ذلك أجابه بقوله : أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذا فتنة.

٤. فتاوى تزيد من الاحتقان الطائفي أو المذهبي :

هناك فتاوى تثير الفتن المذهبية والطائفية دون مراعاةٍ للحساسية القائمة أحياناً بين طوائف المسلمين ، أو دون مراعاةٍ للتهجّم السافر على بعض المذاهب أو اختلافات العلماء المعتبرين ، كما هناك فتاوى تساعد على ازدياد موجات التكفير والتكفير المتبادل ، وعلى التبديع والتفسيق والرمي بالشرك والردة ، من دون مراعاة الضوابط الشرعية ومن دون تفريقٍ بين الاجتهادات التي يُثيب عليها الشرع . وإن أخطأ صاحبها . وبين الانحراف المقصود .

وكم من دماءٍ سالت وأموالٍ انتُهِبَتْ وأُناسٍ عانوا النبذ والاضطهاد بسبب فتاوى صدرت من تفكيرٍ وبكلمتين!!

٥. غلبة فقه التشدّد وفقه المدرسة الواحدة :

خلافاً لنصوص الشريعة الواضحة والمتكررة ، فقد قال تعالى:(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج /٧٨) ، وقال تعالى:(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)(البقرة /٢٨٦) ، وعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: " يَسِّرا ولا تعسرا ، وبَشِّرا ولا تنفرا ، وتَطاوَعا ولا تختلفا".(صحيح البخاري) ، وعن ابن عباس:قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال:" الحنيفية السَّمْحة" .(مسند أحمد)

وهناك مشكلة لدى بعض هؤلاء المتصدّين للفتوى! وهي عدم اعترافهم بالرأي الآخر، ولا بالمدارس الفقهية المنتشرة في العالم الإسلامي ، فلا تعرض الآراء الأخرى في

القضايا المتشعبة ، مما يساهم سلباً في هدم مفهوم الوسطية في الإسلام ، ومفهوم (اختلاف الأمة رحمة لها) .

٦. فتاوى تُساير الضغط الجماهيري أو التوجهات الحكومية !

يُلاحظ ظهور بعض الفتاوى التي تُداهن بعض الحكّام ، أو تدعم توجّه حكومةٍ ما لأمرٍ ما ، أو تراعي ضغوط الجماهير ومطالبها ، أو حال الأمة الهزيل والضعيف ، مع أنها فتاوى تخالف الثابت المقطوع به من النصوص القطعية التي أجمعت عليها الأمة ، وهنا أكرر القول: إن قلة الخوف من الله والجرأة على الفتوى تسمح للبعض بإعطاء الفتاوى جاهزةً حسب التوجهات المرغوبة ! وهو ما سمّاه أحد الباحثين: (الهزيمة النفسية للمفتين) !

المحور الثاني: المحاسبة وضوابط للفوضى

مَنْ يُحاسب المُتَجَرِّئِينَ ؟

عندما يُخطئ طبيبٌ ما فإن المسؤولين يقومون بتشكيل فريق طبي يضم كبار الأطباء لبحث هذا الخطأ وهل هو مقصود أو غير مقصود ؟ وكذلك عند وجود عملية خطرة كبرى ، حيث يتم إنشاء فريق طبي يضم كبار الأطباء أيضاً .

وهذا ما يحدث أيضاً عند قيام أحد أفراد الجيش أو الشرطة بالوقوع في خطأٍ ما ، أو عند الحاجة للقيام بحربٍ دفاعية أو هجومية .

أما أحكام الدين والإفتاء فيها ، فلا يوجد جهة مسؤولة تراقب وتحاسب ، سواء كانت جهةً رسمية أو مؤسسة متخصصة ، وهذا هو الذي يسمح للبعض بالتجرؤ والإفتاء من غير علم أو بينة أو تصوّر لخطورة ما يُفتي به .

والأخطر من هذه الجرأة هو الوقوع في الخطأ (عمداً أو سهواً) ، فمَن يُحاسب المخطئ ؟ ومن يُنبّه المشاهدين لذلك الخطأ ؟ ومَن هو المسؤول عن الآثار السلبية التي قد تواكب تلك الفتوى ؟!

ومع أنه حديثاً وفي الآونة الأخيرة بدأت تبرز بعض الدعوات لإنشاء أجهزة لمراقبة فتاوى الفضائيات ، كاقتراح فضيلة مفتي مصر الدكتور علي جمعة ، حين تقدم بمشروع حول تأسيس جهاز رقابي على القنوات الفضائية يتولى مراجعة الفتاوى التي تذاع على الناس ، وقدَّمه إلى شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ؛ لمنع انتشار الفتاوى الشاذة .

أو كالقانون الذي تدرسه وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية ، حيث يقصر إصدار الفتاوى على المتخصصين والهيئات الدينية الرسمية.

فإنه لم يظهر أيُّ شيء ملموس للآن على الساحة ، ونحن ننتظر خطوات جادة في هذا الشأن ؛ لتحفظ على الناس دينهم .

ونحن حين ندعو لوجود جهاز مراقبة ومتابعة ومحاسبة فإننا لا نحارب وسائل الاتصال الحديثة العصرية ، ولا نحارب الاستفادة منها ، ولكننا نحذّر من الاستخدامات السلبية ؛ فالتكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة سلاح ذو حدين، والمضار الناجمة عنها إنما ترجع لسوء الاستخدام .

دور المشاهد :

جاء في الحديث الصحيح أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال لوابصة بن معبد . رضي الله عنه .: والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك .(مسند أحمد)

أي: وإن جعلوا لك فيه رخصة وأجازوه .

فالرسول . صلى الله عليه وسلم . لم يجعل المستفتي من دون مسؤولية في الفتوى ! فهو إن لاحظ أن الفتوى قد حدث فيها تلبيس أو غموض أو أنَّ المفتي فيها غيرُ مؤهلٍ أو أنه يفتي بما يرضي السلطان أو أصحاب الجاه والمال والسطوة ، فإن عليه مسؤولية أمام الله تعالى ، وعليه ألا يقبل الفتوى أو يأخذها هكذا من دون تفكير وتدبّر !

فللمشاهد والمتابع دور كبير في انتشار الإقبال أو قلّته على بعض البرامج والوسائل التي تنتشر فيها الفتاوى الغير منضبطة ، فهو بوعيه يستطيع الاختيار السليم بين المفتين المؤهلين أو سواهم ، وهو باهتمامه بمعرفة أحكام دينه يساعد إما ببروز العلماء وفتاويهم أو بصعود أشباه العلماء وضلالهم .

وقديماً كان يُقال للمسلم المستفتي : دينُك دينُك ....لحمُك ودمُك...فانظرْ عمّن تأخذُ دينَك !

كما نحتاج لإرشاد الناس للمراجع الشرعية المعتمدة ، من مفتين مؤهلين ، أو مؤسسات شرعية معتمدة ومقبولة لدى أهل الاختصاص ، أو لجان فتوى ، أو مجامع فقهية معتبرة .

مقترحات لضبط (فوضى الفتاوى)

أ. دستور المفتين

لابد من وجود دستور أو آلية يتفق عليها عموم العلماء وأهل الفتوى ، حتى يرفعوا عن كاهل الناس وعموم المسلمين هذا التضارب الذي يحصل في الفتاوى ، وما يتبعه من آثار سلبية على الأفراد والمجتمع :

. فالفتاوى في الجانب السياسي وما يخص مصالح الأمة الإسلامية أو مستقبل الدول لا بدَّ فيه من ضوابط ، تحفظ دماء الناس وأموالهم ، وتمنع حدوث المشاكل بين الدول العربية والمسلمة .

ـ والفتاوى في جانب الأسرة والطلاق والزواج لا بد فيها كذلك من ضوابط ، فكثير من الفتاوى . وللأسف . لا تُراعي جانب خراب البيوت وتشرد الأبناء !

ـ والفتاوى في أمور العقيدة والفرق الإسلامية والطوائف والمذاهب لا بد فيها من ضوابط أيضاً ، فقد يكون من السهل تكفير طائفةٍ أو الحكم بردّتها أو تفسيقها ببضعة كلمات ، لكن آثار ذلك على المجتمعات والناس من قتل وسلب وصِدامٍ ونفور قد لا تستطيع مقاومته جيوش ضخمة !

إننا في زمنٍ لم يعد يحتمل الأخطاء في مثل هذه الأمور ، خاصةً مع انتشار وسائل الاتصال والتواصل ، ومع وجود مَنْ يتصيّدون في الماء العكِر!

ب. الفتوى الجماعية والفتوى الفردية

ينبغي دعم الفتاوى الجماعية ، خاصةً تلك التي تصدر من مجامع فقهية متخصصة ، أو من لجان الفتوى الموثوقة ، فهي تبدو على الدوام أقرب للصواب والواقع ، ويجري فيها تمحيص الواقعة المسؤول عنها وتدارسها من جميع الأَوْجه .

فالفتوى الجماعية عبر مجمع فقهي مثلاً هي بلا ريبٍ أفضل بكثير من الفتوى الفردية . مع مراعاة أمرين مهمين في نظري :

١. أن يتم الاستعانة بمختصين في المجال الذي تتناوله المسألة ، من أطباء أو اقتصاديين أو تربويين أو علماء نفس أو عسكريين أو أُسريين ، مما يُساهم في فهم أبعاد المسألة ومن ثَمَّ إعطاء الفتوى الأكثر واقعية ومصداقية لها .

٢ـ أن يضم المجمع الفقهي أو لجنة الفتوى علماء من مختلف المذاهب الإسلامية أو حتى الطوائف المسلمة . إن أمكن . ، بحيث تُستعرض جميع اجتهادات الفقهاء المتقدمين والمتأخرين ، ثم الإفتاء بما يوافق مقاصد الشريعة وأهدافها .

المحور الثالث: قناة (اقرأ) والفتاوى

الفتاوى في قناة (اقرأ)

تميّزت قناة (اقرأ) - ومن أول يومٍ ظهرت فيه على الساحة الإعلامية - بأنها أول قناة إسلامية تخصصية، ثم تميّزت بعد انتشارها وجذْبها للمشاهدين بأنها قناة هادفة، وكانت أهدافُها - ولا زالت - تدور حول: العالمية في التوجه، والوسطية في المنهج، والشمولية في الأهداف، والتنوع في المضمون، والموضوعية في الخطاب، والمصداقية في المعالجة، والتشويق في العرض.

وقد كتب الله - والحمد له - للقناة الانتشار والقبول بين عموم المسلمين، خصوصاً بسبب الوسطية في طرحها، والاعتدال في خطابها، وتميّز مُقدِّمِي برامجِها.

وبسبب انتشار فوضى البرامج والفتاوى في الفضائيات والإعلام اليوم، ولأنَّ الناس تبحث عن الفتاوى المُؤصّلة الصحيحة، ولأنَّ ثقة عموم المشاهدين بقناة (اقرأ) كبيرة، ولأن تأثير قناة (اقرأ) على الناس عظيم، ولأن لدى المسؤولين والمشرفين في قناة (اقرأ) - وليَ الشرف بأن أكون أحدهم - إحساس بالمسؤولية تجاه المسلمين، وتَأَلُّمٌ في الوقت ذاته بضياع المشاهدين بين برامج الفتاوى المتعددة، فقد عمدنا في الفترة الأخيرة إلى اعتماد عدة وسائل في دعم الفتوى الصحيحة والمُؤصَّلة، مما يساعد أكبر شريحة ممكنة من المسلمين الذين يَستَفتون في أمور دينهم، وذلك عبر أربعة وسائل:

١ - برنامج (في رحاب الشريعة):

وهذا برنامج أسبوعي يتناول اهتمامات المشاهدين الدينية، ويجيب على أسئلتهم الشرعية واستفساراتهم حول دينهم الحنيف، وهو برنامج يذاع على الهواء مباشرة، يستضيف فيه معدٌّ ومقدم البرنامج في كل حلقة أحد الشيوخ والعلماء؛ للتواصل مع المشاهد في الإجابة على الأسئلة الشرعية.

ويتميّز البرنامج بميزة فريدة ومهمة، حيث تتم استضافة أحد العلماء والمشايخ في الأسبوع الأول من المملكة العربية السعودية، وفي الأسبوع الثاني من جمهورية مصر العربية، وفي الأسبوع الثالث من لبنان، وهكذا دواليك.

فيستفيد المشاهد أن الفتاوى تراعي البيئة التي يقطن ويعيش فيها، وتراعي أحياناً خصوصية المذهب المُنتشر في تلك الأقطار وما جاورها، كما تُفيد المشاهد بالاطلاع

على الفتاوى المتعددة أحياناً والمختلفة الصادرة من أولئك العلماء المعتبرين ، مما يسمح لنا بتحقيق مقولة: (اختلاف أمتي رحمة) ، والتي قبلها العلماء وعملوا بها .

٢ . شريط الفتاوى على الفضائية :

وهذه خدمة تميّزت قناة (اقرأ) بأنها أول قناة تقدّم خدمة الفتاوى عبر بث القناة الفضائي ، بخدمة إرسال الرسائل القصيرة (SMS) ، حيث يظهر شريط في أسفل شاشة البث ، يظهر فيه استفسار السائل وإجابة المختصين على هذا الاستفسار .

وهذه خدمة عصرية تفيد المستفتي ، وتفيد أيضاً عموم المشاهدين في التعرّف على بعض الأحكام الشرعية والفتاوى الشرعية المُؤصَّلة ، كما هي تنفع مَنْ لا يستخدمون بعض الوسائل العصرية في الاستفتاء ، حيث يتحرّجُ البعض من الاتصال التلفوني ، أو من استخدام موقع القناة الإلكتروني .

٣ . الفتاوى على الموقع الإلكتروني لقناة (اقرأ) :

بناء على رغبة المشاهدين لقناة (اقرأ) بعدم عرض الأسئلة الخاصة والحساسة في العلاقات الزوجية على شاشة اقرأ الفضائية ، فإننا خصصنا لهم هذا الموقع للمساهمة في الثقافة الشرعية الهادفة .

فهناك قسم للإجابة عن الأسئلة الخاصة بالراشدين ، وهناك قسم يتضمن جميع الفتاوى التي ترد للقناة ، ويمكن للمتابع أن يُشارك فيها أو يستفيد من الاطلاع عليها .

٤ . فتاوى على الإيميل الشخصي :

وهذه خدمة مميزة جداً تقدّمها قناة (اقرأ) ، حيث تقدم خدمة الفتاوى الشرعية عبر الإيميل الشخصي للمستفتي ، وهي خدمة تُعنى بالخصوصية والسرية للمستفتي ، بحيث لا يطّلع أحدٌ على صاحب السؤال أو على الإجابة سوى المستفتي نفسه !

فالمستفتي يحصل على عضوية وكلمة سر ورقم الرصيد . ويقع على عاتقه الحفاظ على سرية عضويته وكلمة السر .

كما نلتزم في هذه الخدمة بعدم إعطاء الاسم والبريد الإلكتروني ورقم الرصيد الخاصة بالمستفتي لأحد ، مما يسمح له بشرح مشكلته أو استفساره بأريحيّة تامّة .

وتتميز أيضاً بأن الإجابة على السؤال تكون كأقصى حدٍّ خلال أربع وعشرين ساعة .

وفي بدأ انطلاقة الخدمة هذه استطاعت القناة وبفضل الله تعالي أن تجيب على أربعة آلاف شخص في الشهرالأول وكان لها الأثر الكبير والقناة الآن تدرس مشروع عمل نفس هذه الخدمة باللغات الأخرى .

مميزات الفتاوى في قناة (اقرأ)

مما سبق عرضه يمكن أن نلاحظ عدة أمور:

١- استفادة قناة (اقرأ) من وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في مجال الفتوى والإفتاء.

٢. استخدام أكثر من وسيلة عصرية ، مما يسمح لأكبر شريحة ممكنة من الاستفادة من أهل العلم والاختصاص في مجال الإفتاء .

٣. العناية ببيئة المستفتي واختلاف العادات وحتى المذاهب الفقهية أحياناً ، ويظهر هذا بوضوح في برنامج (في رحاب الشريعة) .

٤. إتاحة المجال للسؤال والاستفتاء في الأمور الخاصة (كالأمور الجنسية وخصوصيات العلاقة الزوجية) ، مع مراعاة الحفاظ على الحياء المبثوث في مجتمعاتنا الإسلامية عبر تخصيص زاوية خاصة للتساؤلات والإجابات في موقع القناة الإلكتروني .

٥- استخدام وسيلة الخصوصية للسائل . إن رغب في ذلك . حيث يصل إليه جواب تساؤله من دون اطلاع أحد على ذلك .

وختاماً : فإنني ومن موقع المسؤولية أؤكدُ على أننا في إدارة قناة (اقرأ) ملتزمون بنشر الفتوى المنضبطة والمُؤصّلة ، ولهذا فنحن نسعى للاستفادة القصوى من الوسائل الحديثة في خدمة أهدافنا النبيلة ، كما أننا لن نألو جهداً في الاستماع للنصح والإرشاد حين وقوع الأخطاء ، أو لعرض الأفكار المفيدة في هذا الشأن . والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين .